

قال المصنف رحمه الله:

"القاعدة الثانية"

باب الصفات أوسع من باب الأسماء:

وذلك لأنَّ كلَّ اسم مُتضمن لصفة، كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأنَّ من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا مُنتهى لها، كما أنَّ أقواله لا مُنتهى لها؛ قال الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [لقمان: 27].

ومن أمثلة ذلك: أنَّ من صفات الله تعالى: المَجِيء، والإِتِيان، والأخذ، والإمساك، والبَطْش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تُحصى، كما قال تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ} [الفجر: 22]، وقال: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ} [البقرة: 210]، وقال: {فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ} [ال عمران: 11]، وقال: {وَيُمْسِكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [الحج: 65]، وقال: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} [البروج: 12]، وقال: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: 185]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يُنْزَلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» (1).

فَنَصِفُ الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نُسَمِّيهِ بها، فلا نقول: إِنَّ من أسمائه: الجائي، والآتي، والأخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والتَّازل، ونحو ذلك، وإن كنا نُخبر بذلك عنه ونَصِفُهُ به.

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري (1145)، ومسلم (758) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الشرح

باب الصفات أوسع من باب الأسماء، فالله يوصف بصفات؛ كالكلام، والإرادة، والاستواء، والنزول، والضَّحْك، ولا يُشتق له منها أسماء؛ لعدم اقتضاءها المدح والثناء في حال إطلاقها؛ فلا يُسمَّى بالمتكلم، والمُريد، والمستوي، والنازل، والضاحك؛ «فهذه الأسماء التي فيها عموم وإطلاق لما يُحمد ويذم لا تُوجد في أسماء الله الحسنی؛ لأنها لا تدل في حال إطلاقها على ما يحمد الرب به ويُمدح» (2).

وفي المقابل هناك صفات ورد إطلاق الأسماء منها؛ كالعلو، والعلم، والرحمة والقدرة؛ لأنها في نفسها صفات مدح، والأسماء الدالة عليها أسماء مدح (3)؛ فمن أسمائه: العلي، والعليم، والرحيم، والقدير.

وإذا كان الاسم مشتقاً من أفعاله القائمة به، فإن كان الفعل ورد مقيداً فإنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً: أن يُشتق له منه اسم مطلق، كما غلط فيه بعض المتأخرين؛ فجعل من أسمائه الحسنی: (المضل، الفاتن، الماكر) تعالى الله عن قوله؛ فإن هذه الأسماء لم يُطلق عليه سبحانه منها إلا أفعالاً مخصوصة معينة؛ فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة، والله أعلم» (4).

قال ابن القيم رحمه الله: «الفعل أوسع من الاسم، ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالاً لم يتَّسم منها أسماء الفاعل؛ ك(أراد، وشاء، وأحدث)، ولم يُسمَّ بـ(المريد)، و(الفاعل)، و(المتن) وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه.

(2) «نقض تأسيس الجهمية» (2 / 11).

(3) «شرح الأصفهانية» (ص 5).

(4) «بدائع الفوائد» (1 / 161).

فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، وقد أخطأ- أقبح خطأ- مَنْ اشتق له مِنْ كل فعل اسمًا، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف؛ فسَمَّاه (المأكر)، و(المخادع)، و(الفاتن)، و(الكائد)، ونحو ذلك»⁽⁵⁾.

⁽⁵⁾ «مدارج السالكين» (3 / 415).